

الشَّاهدُ المُنشد . ولا يجوز ، إذن ، أن نَسْتغرب تلك المفارقة في القول الشعري الجاهلي : وحدة القول ، وتعدّد القول .

- ٤ -

لِنَقُلْ : كان الإنشاد والذّاكرة بمثابة الكتاب الذي ينشر الشعر الجاهليّ ، من جهة ، ويحفظه من جهة ثانية .

وإذا رجعنا إلى جذر كلمة نشيد في اللغة ، نرى أنها تعني الصوت ، ورفع الصوت ، والشعر نفسه الذي يتناشده الناس . وبما أن الأصل في الشعر الجاهلي هو أن ينشد ، فقد كان الأصل أن يُنشد الشاعر هو نفسه ، قصيدته . فالشعر من فم قائله أحسن ، كما يعبر الجاحظ . وفي هذا ما يُلمح إلى أن عرب الجاهلية كانوا يعدون إنشاد الشعر موهبة أخرى ، تضاف إلى موهبة قوله . والحقّ أنه كان لموهبة الإنشاد أهمية قصوى في امتلاك السمع ، أي في الجذب والتأثير . خصوصاً أن السمع للجاهلي أصل في وعي الكلام وفي الطرب . فهو ، كما يعبر ابن خلدون «أبّ للملكات اللسانية» .

وطبيعي ، في هذا المنظور ، أن يعمق التأثير ويحسن ، بقدر ما يحسن الانشاد .

وليس الإنشاد إلا شكلاً من أشكال الغناء . ويحفّل الموروث الأدبي العربي ، بالإشارات إلى ما يؤكد ذلك . فكثيراً ما شُبّه الشعراء المنشدون بالطيور المغردة ، وشُبّه شعرهم المنشود بتغاريدها . وثمة كلمة مشهورة توجز ما نذهب إليه ، تقول : «مقود الشعر الغناء» . وإذا أضفنا إليها قول حسان بن ثابت الذي